بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، لاسيما عبده المصطفى، وبعد:

الرؤيا هي الجانب الخفي من الروح الذي يظهر للمرء في نومه، وهي إما صادقة أو غير صادقة، ورؤيا المؤمن صادقة وهي حق كما قال سيد الخلق ﷺ: «**رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة**». رواه البخاري [٦٩٨٧].

ورؤيا المؤمن قد تكون كشفًا إلهاميًّا من الله عز وجل يسدد به خطاه ويرفع له بها منارًا ينير له طريق الحق، وقد تكون في شكل وصايا ونصائح تُقذف على لسان بعض الأموات ممن يراهم المرء في منامه، فتنفع بها إن شاء الله كثيرًا من الأحياء لما لها من وقع في النفوس، خاصة إذا جاءت من رجل كان يُشهد له بالتقوى والصلاح.

يقول العلامة ابن قيم الجوزية: «في إمكان تلاقي أرواح الأحياء بأرواح الأموات».

شواهد هذه المسألة وأدلتها أكثر من أن يحصيها أحد إلا الله تعالى، والحس والواقع من أعدل الشهود بها، فتلتقي أرواح الأحياء والأموات كما تلتقي أرواح الأحياء قال: وهذا باب طويل جدًّا، فإن لم تسمح نفسك بتصديقه، أو قلت: هذه منامات هي غير معصومة، فتأمل من رأى صاحبًا له، أو قريبًا، أو غيره فأخبره بأمر لا يعلمه إلا صاحب الرؤيا، أو أخبره بمال دفنه أو حذره من أمر يقع، أو بشره بأمر يأتي فوقع كما قال، أو أخبره بأنه يموت هو أو بعض

أهله إلى كذا وكذا، فيقع كما أخبر، أو أخبره بخصب أو جدب أو عدو أو نازلة، أو مرض أو بغرض له فوقع كما أخبره، والواقع من ذلك لا يحصيه إلا الله، والناس مشتركون فيه.

وقد رأينا نحن وغيرنا من ذلك عجائب! وأبطل من قال: إن هذه كلها علوم وعقائد في النفس تظهر لصاحبها عند انقطاع نفسه عن الشواغل البدنية بالنوم، وهذا عين الباطل والمحال، فإن النفس لم يكن فيها قط معرفة هذه الأمور التي يخبر بها الميت، ولا خطرت ببالها ولا عندها علامة عليها ولا أمارة بوجه ما ونحن لا ننكر أن الأمر قد يقع كذلك.

وإن من الرؤيا ما يكون من حديث النفس وصور٠٦٢٩ الاعتقاد، بل كثير من رؤى الناس إنما هي مجرد صور اعتقادهم المطابق وغير المطابق. وبالجملة فهذا أمر لا ينكره إلا أجهل الناس بالأرواح وأحكامها وشأنها.

يقول الدكتور سلامة السقا: «الرؤى والأحلام صفة ملازمة للإنسان على مر العصور وأينما كان. فما من صغير أو كبير ذكرًا كان أو أنثى إلا وقد عاش تجربة الرؤى والأحلام ورأى في منامه أشياء لها معنى وأشياء ليس لها معنى واضح»..

فلا تخلو حياة أي إنسان من الرؤى والأحلام طوال حياته.. ويروي لنا التاريخ قصصًا كثيرة لأحلام ورؤى كان لها قيمة تاريخية في بعض الأحيان مما غير أحيانًا تاريخ بلاد وممالك، ولا تخلو كتب الأقدمين من ذكر الأحلام والرؤى جنبًا إلى جنب مع ذكر الأساطير والقصص الخيالية.. إلا أن القرآن الكريم يذكر لنا مجموعة من الرؤى والأحلام مبينًا مدلولاتها وقيمتها التوقعية كدليل على حقيقة الأحلام وبيان لبعض أسرارها التي لا يعلمها إلا الخالق

سبحانه وتعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الملك:١٤] ولا تذكر الرؤى والأحلام إلا وتقفز إلى الذهن تلك الرؤيا التي رآها يوسف عليه السلام وهو صغير: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴾ [يوسف:٤].

ويقص علينا التاريخ أن بُخْتَنَصّر رأى في منامه زوال ملكه وما يحيق به وكيف عبرها له دانيال الحكيم وتحقق ما قاله دانيال.. وكذلك رؤيا كسرى لكلب يخطف طعامه فيعيده إليه أسد وكيف عبرها له وزيره برزجمهر بزوال ملكه ثم عودته إليه على يد حليف قوي من العرب.

وفي إلياذة هوميروس نجد أن حرب «طُرْوَادَة» المشهورة والتي ظلت سنين وقُتل فيها الكثير جاءت نتيجة رؤيا رآها أجا ممنون الذي كان رافضًا لفكرة غزو طروادة ولكنه رأى في منامه أنه يفتحها وأنه لن يجد بها مقاومة تذكر وأن الآلهة -التي يزعمها- معه والنصر حليفه. فاعتبر ذلك رضًا من آلهته وحثًّا على فتحها فأعلن الحرب وكان دون فتحها صعاب وأهوال إلى أن اهتدوا إلى حيلة «حصان طروادة» المشهور.

وهذا هو فريدريك نانتنج مكتشف «الإنسولين» يقوم بتجارب مضنية لاستخلاص تلك المادة الحيوية وبعد أن أعياه البحث يرى رؤيا في منامه تدل على طريقة استخلاص الإنسولين من بنكرياس الكلب وحين يستيقظ يقوم بالتجربة وينجح في استخلاص تلك المادة الحيوية والتي أنقذت وتنقذ الملايين من البشر من مرضى البول السكري Diabetes Mellitus. وفي عام ١٩٦٧ أنشئ في بريطانيا «مكتب التوقعات البريطاني» وذلك لمحاولة تتبع الأحلام التي تدل أو تشير إلى كوارث عامة أو قضايا وأمور تخص المجتمع كله وذلك

لمحاولة تلافي حدوثها.. وقد أنشئ هذا المكتب بعد وقوع كارثة في قرية بريطانية تسمى «إيبرفاين» سنة ١٩٦٦م حيث انهار جبل من الفحم على تلك القرية مما أدى إلى وفاة عدد كبير من الأفراد معظمهم من الأطفال، وبتتبع أخبار الكارثة وُجِد أن عددًا كبيرًا من أهل القرية وأطفالها رأى الكارثة أو ما يشير إلى حدوثها في منامهم.

وهكذا تتكرر الرؤى عبر التاريخ. كل منها له مدلوله، وكل منها له قيمته العامة أو الخاصة، وكلها تؤكد أن الأحلام حقيقة لا تقبل الجدل.

هذا، وقد تضمن هذا المجموع عدة أبحاث في أحكام الرؤى والتعبير وآداب المعبِّر وما يحتاجه من أدوات تساعده على التفسير، مع ذكر أكثر من مائة قصة من نوادر رؤى الأنبياء والعلماء والأمراء والنساء وغيرهم مما ستراه مثبوتًا بين وريقات هذا البحث.

والحمد لله أولًا وآخرًا، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه

أبو عبيدة

إبراهيم بن محمود عبد الراضي

عفا الله عنه

تمهيد .. هام

كان الحلم -ولا يزال- من التجارب الإنسانية التي حظيت باهتمام بليغ في حياة البشر؛ إذ للحلم آثاره وانطباعاته في نفس الحالم؛ فقد تلقى صديقًا أو قريبًا فتراه حزينًا كئيبًا، فتسبر غور نفسه؛ لتعرف سر كآبته وحزنه، فتعجب أشد العجب عندما تعلم أن سبب ذلك رؤيا مرعبة، أو منذرة بخطر سُيدَاهِمُهُ. وقد تجده فرحًا منشرح الصدر، باسم الثغر، وما ذلك إلا لأنه رأى رؤيا مفرحة، أو مبشرة بحدث سارٍّ قادم.

يقول الدكتور عمر سليمان الأشقر -حفظه الله-: «كانت الرؤى -وما زالت- ذات تأثير لا على الأفراد العاديين فحسب، بل وعلى النابغين والأذكياء، وكم أَقضَّت الرُّؤى مضاجع الجبابرة والملوك، وكم شغلت شعبًا بأكمله يومًا ما، وما رؤيا ملك مصر في عهد يوسف ببعيدة عن ذاكرتنا، فقد رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبعٌ عجاف وسبعَ سنبلاتٍ خضر وأخر يابسات، وكانت رؤيا حق، نفعت الناس نفعًا عظيمًا، عندما وُجِد الشخص الذي يحسن تفسيرها وتأويلها».

وكثير من الناس اليوم يُبَادِرُون بالتكذيب بالرؤى والأحلام، ويزعمون أن الرؤى المنامية ليست إلا انعكاسات لما يجول في فكر الإنسان في حال يقظته، وما يختزن في فكره الباطن، فإذا ما استسلم للرقاد، وطاف في أودية الكرى، فإن عقله الباطن يعمل، فيحقق المرء في نومه ما لم يستطع تحقيقه في عالم اليقظة. ونحن لا ننكر أن قسمًا كبيرًا من الرؤى ليس إلا انعكاسات لأحاديث النفس وخواطرها التي تمر بها في اليقظة، ولكننا نرفض رفضًا قاطعًا أن تكون جميع الرؤى كذلك، ونقول: إن هذا تحكم يُعلم كذبه كل من تفكر في رؤياهم التي

مرت به، أو التي سمع الناس يروونها، ويحدثون بها عن أنفسهم.

كيف بالله نفسر رؤيا امرأة رأت وليدها يسقط من سطح منزل، وفي الصباح يخرج فلا يعود؛ لأن سيارة داهمته، وأودت بحياته؟!

وكيف نفسر رؤيا رجل يرى نفسه وقد سافر إلى بلد، وسكن منزلًا معينًا رأى في المنام معالمه فلا تمضي شهور حتى يكون في ذلك المنزل الذي رآه في منامه؟! وكيف نفسر رؤيا رجل رأى أنه سافر، وتعطلت سيارته على صورة ما، وينسى الرؤيا ولا يذكرها إلا حينما يرى المشهد الذي رآه في المنام حقيقة ماثلة؟!

أذكر أن «محمد أسد»، وكان كاتبًا يهوديًّا، ثم اعتنق الإسلام، حدَّث في كتابه «الطريق إلى مكة» عن رؤيا رآها قبل إسلامه، وقام من منامه، وسجّلها، وقد تحققت فيما بعد، على الرغم من طولها، وكثرة أحداثها.

إذن، ليس كل الرؤى انعكاسات لأحاديث النفس وخواطرها وهواجسها، بل الأمر أعمق من ذلك.

والإنسان لا يستطيع بعقله وفكره أن يصل إلى أعماق نفسه؛ ففي النفس الإنسانية غيبيات يعجز الإنسان عن الإحاطة بها، على الرغم من أنها أقرب الأمور إليه.

والرؤى لها علاقة بالنفوس الإنسانية، وفيها جانب غيبي لا يخضع للعلم المادي المبني على النظر والتأمل والبحث المادي.

وقد أغنانا الرسول ﷺ عن إجهاد النفس في هذا الموضوع، وقال لنا فيه الكلمة الحق، وهي الكلمة الفصل التي لا نحتاج معها إلى غيرها؛ وذلك أنها تمثل الحقيقة، وتفسر الأمر تفسيرًا يدرك الإنسان صدقه عندما ينظر إلى رؤياه، ورؤى الناس في ضوء ما أخبر به المصطفى ﷺ.

يقول الرسول ﷺ في الحديث الذي يرويه ابن ماجه: «**إنَّ الرُّؤيَا ثلاث: منها**

أَهَاوِيلُ من الشَّيطَانِ ليحزن بها ابنَ آدَمَ، ومنهَا مَا يَهمُّ بِهِ الرَّجُلُ فِي يَقظتِهِ فيراهُ في منامِهِ، وَمنَها جُزء من ستة وَأربَعينَ جُزءًا من النُّبوَّة»[١].

وفي الحديث الآخر عند الترمذي: **«الرُّويَا ثلاثٌ: الحسنةُ بُشرى من الله، والرؤيا يحدِّثُ الرَّجُلُ بها نفسهُ، وَالرُّؤيا تَحزين مِنَ الشَّيطَانِ»**[٢].

فالذي قرره الرسول ﷺ في الرؤيا أنها ثلاثة:

الأول: حديث النفس، وهي التي أسماها العلماء الماديُّون بالانعكاسات النفسية، وهي خواطر النفس، وتطلعاتها التي تصبو إلى تحقيقها في واقع الحياة، فتراها في المنام، إذ تحلم بممارسة أمور لم تستطع تحقيقها في واقع الحياة.

النوع الثاني: من الرؤى التي أخبر بها الرسول ﷺ: هي الرؤيا التي يسببها الشيطان؛ فإنه قد يمثل للإنسان في منامه رؤيا مفزعة، تُبلبلُ خواطره، وتُرهقُ نفسه، وتجعلُهُ يجول في عوالم بعيدة، حذرًا متخوفًا، وفي الحديث: **«الرؤيا الصالحة من الله، والحلم من الشيطان، فإذا رأى أحدكم ما يُحبُّ فلا يُحدِّث به إلا من يُحبُّ، وإذا رأى ما يكره فليتعوذ بالله من شرها، وشر الشيطان، وليتفل ثلاثًا ولا يُحدِّث بها أحدًا، فإنها لا تضره»**[٣].

وقد جاء رجل إلى الرسول ﷺ فقال: «رأيت في المنام كأن رأسي قد قُطع». قال: فضحك النبي ﷺ، وقال: **«إذا لعب الشيطان بأحدكم في منامه فلا يُحدِّث به الناس»**[٤].

والشيطان لديه القدرة على الوسوسة في صدور الناس: ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس:٤، ٥]. وفي الحديث:

---

(١) صحيح ابن ماجه (٣١٥٤).

(٢) صحيح الترمذي (١٨٦٧).

(٣) رواه البخاري (١٢/ ٣٧٣)، ومسلم (٢٢٦١).

(٤) رواه مسلم (٢٢٦٨).

«**أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم**». فلديه القدرة على أن يُمثل للنفس في منامها أمورًا تفزعها وتحزنها.

النوع الثالث: رؤيا لم يفكر بها صاحبها يومًا، ولم تخطر على باله، وهي بعيدة كل البعد عن تفكيره، وقد يراها بصورة جلية، لا تحتاج إلى تفسير ولا إلى تأويل، وقد تكون أمثالًا مضروبة، وأحداثًا شائكة، تحتاج إلى علم وتقدير، وفهم ثاقب، ونظر بعيد، وما كل من رُزق علمًا رُزق فهمًا بتأويل الأحلام والرؤى.

وهذا النوع من الرؤى هو البقية الباقية من حقيقة النبوة، فالوحي قد انقطع، والنبوة قد خُتمت، ولم يبق إلا هذه الرؤى، وهي المبشرات، يقول الرسول ﷺ: «**لم يبق من النبوة إلا المبشرات**». قالوا: وما المبشرات؟ قال: «**الرؤيا الصالحة**»[١]. وزاد مالك برواية عطاء بن يسار: «**يراها الرجل المسلم أو تُرَى له**»[٢].

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة**»[٣].

وإذا كانت الرؤيا من الرسول والأنبياء فهي حق لا تُكذب، بل هي وحي إلهي، وقد بادر خليل الرحمن إبراهيم إلى ذبح ولده عندما رأى في المنام أنه يذبحه، وما ذلك إلا لأن رؤياه وحي.

وغير الأنبياء تقع له الرؤيا الحق، وتكون دلائل الصدق عليها بينة إلا أننا لا نستطيع أن نجزم بأنها رؤيا حق إلا إذا تحققت على النحو الذي رآه صاحبه في منامه.

---

(١) رواه البخاري (١٢/ ٣٧٥).

(٢) مالك في الموطأ (٢/ ٩٥٧).

(٣) رواه البخاري (١٢/ ٣٧٣)، ومسلم (٢٢٦٤).

قال الشيخ سلمان العودة -حفظه الله-: «ما أجمل الحادثة التي يذكرها المترجمون عن الإمام «عبد القادر الجيلاني» -رحمه الله- أنه كان نائمًا، فرأى نارًا عظيمة تتصاعد، ثم سمع منها صوتًا يقول له: يا عبد القادر.. أنا ربك.. وقد أحللت لك ما حرمت عليك. فقال الشيخ عبد القادر -وهو في المنام-: اخسأ يا عدو الله!

وعرف أن الشيطان عرض له ليصده عن دينه؛ لأن الحرام لا يكون حلالًا أبدًا، كما أن النجاسة لا تكون طهارة أبدًا، فلا يتحول المحرَّم بشريعة الله إلى حلال؛ لأن رجلًا رأى في النوم مَنْ يحلُّهُ له».

وإذا كنا لا نقبل ونحن في اليقظة بكامل عقولنا وقوانا، من يُحلِّلُ لنا الحرام، أو يُحرم علينا الحلال.. فكيف نقبل ذلك في النوم حين يغيب إدراك الإنسان، ولا يعي ما حوله؟!

إن الاشتغال بهذه الرؤى العابثة هو شأن الفارغين، فإذا فقد الناس العلم الصحيح، والتوجيه السليم، اتجهوا لمثل هذه الخرافات، يروون بها ظمأهم، ولذلك فإن لهذه الرؤى دلالة واضحة على مستوى الوعي، والفهم في المجتمع وخاصة في مجال «المرأة».

وليس الحل هو أن يَهُبَّ العلماء إذا سمعوا مثل هذه الأسطورة؛ ليبينوا كذبها، هذا -ولا شك- مطلوب، ولكن يجبُ أن نسبق الأحداث ونبذل جهودًا كافية لملء عقل المرأة والرجل بالعلم الصحيح، والعاطفة الحية.. فالوقاية خير من العلاج.

لعل من الملاحظ أن بعض «القصاص»، و«الوعاظ» يسردون كثيرًا من الأحلام في أحاديثهم، في الترغيب والترهيب.. وربما كان هذا المنهج (منهج المبالغة في ذكر الرؤى) ناتجًا عن قلة العلم بالنصوص الشرعية.. وناتجًا عن فراغ فكري وعاطفي لدى هذا المتحدث أيضًا.

أتذكر أنني قرأت أبياتًا لأحد المسجونين يصف فيها حاله، وحال أصحابه في السجن، ثم عرفتُ أنه الشاعر المعروف علي بن الجهم، أو عبد الله بن معاوية، أو صالح بن عبد القدوس، ويقول:

إلى الله فيما نابنا نرفع الشكوى

ففي يده كشف الضرورة والبلوى

خرجنا من الدنيا وإنا لأهلها

فلسنا من الأموات فيها ولا الأحيا

إذا جاءنا السجان يومًا لحاجة

فرحنا وقلنا: جاء هذا من الدنيا

ونفرح بالرؤيا فَجُلُّ حديثنا

إذا نحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا

فإن حسنت لم تأت عجلى وأبطأت

وإن قبُحتْ لم تحتبسْ وأتتْ عجلى

يتحدثون كثيرًا عن الرؤيا، لماذا؟

أولاً: للفراغ، فليس لديهم أحاديث عن الوقائع والمستجدات؛ لأنهم معزولون لا يسمعونها، خاصة في الزمن الماضي.

وثانيًا: لأنهم في حال كرب، والرؤيا قد تكون مبشرة، تُشعر السجين بقرب خلاصه وربما كان في قصة يوسف -عليه السلام- وصاحبيه ما يُشير إلى أن السجين تَحدُث له الرؤيا، ويتحدث عنها أكثر من غيره، خاصة وهو يعلم أن الأبواب كلها قد أُغلِقت، فيلجأ إلى الله، ويصدق معه، فيحدث له من صفاء القلب ما لا يحدث له في غير سجنه.

إنه لجدير بالداعية أن يقتصد في ذكر الرؤى والأحلام، فلا يجعلها لُحمة

وعظه وسُداه، ولا يقيمها مقام الأدلة الشرعية.

كان ﷺ كما في الصحيح إذا صلَّى الفجر التفتَ إلى أصحابه فقال: «**هل رأى أحدٌ منكم رؤيا؟**».

... لكنه ﷺ حدد فائدة الرؤيا بـ«التبشير»، وما في معناه، أما التشريع فلا تشريع في يقظة ولا منام بعد موته -عليه الصلاة والسلام- وليس كل ما يراه الإنسان في المنام رؤيا، بل هناك «الحُلم»، وهو من الشيطان، وهناك حديث النفس، فإذا شغل أمرٌ من الأمور بال الإنسان تراءى له في المنام. وقد يكون ما يراه بسبب اعتلال المزاج واختلاله، أو الشبع أو الجوع أو غيرهما.

وقد قرأت أن أحد الروائيين المشهورين كان يأكل أكلة ثقيلة، ثم ينام، فإذا استيقظ دوّن ما رأى على شكل «رواية»، أو قصة يتداولها الناس، ويتعجبون من خيال هذا الكاتب!

ومرة أخرى يجب التأكيد أن الداعية أو الواعظ لا يجدر به أن يتساهل في حكاية الروايات الواهية، والموضوعة، والمشكوك فيها.. أن فلانًا رأى وفلانًا رأى.. ورأى رجل صالح فيما يرى النائم.. ورأت امرأة صالحة. وما يدرينا نحن عن صلاحها؟ وقد يكون الإنسان ظاهره الصلاح، لكن فيه غفلة الصالحين، فيحدّث بكل ما يسمع.

وفي مقدمة «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «**كفى بالمرء كذبًا أن يحدّث بكل ما سمع**»[1].

لقد أصبحت سيرة بعض الدعاة والمصلحين تقال في كثير من المجالس، بسبب حشدهم لهذه الأقاصيص، وهذه الرؤى، والأحلام، وتوثيقهم لها، بدون تثبت، وعدم تقدير نوعية المخاطَبين، ومستوى عقولهم.

---

(١) رواه مسلم (١/ ٧٢).

وإنه لمن الخطأ أن نربط إيمان الناس بأمر شرعي برؤيا حادثة، من حق أي إنسان أن لا يصدقها، أو أن يشك فيها، فنستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير.

وخلاصة الأمر أن لا يستكثر الواعظ من سرد الرؤى، بل يجعلها كالمِلْح، إن زاد ضر، وإن نقص ضر، على أن يكون وفق الضوابط التالية:

- لا يترتب عليها حلال ولا حرام ولا تشريع.

- لا تكون مشتملة على تهويل أو مبالغة يأباها العقل السليم، فإن العلماء عدُّوا المبالغة في الحديث من الأدلة على وضعه.. فما بالك بالرؤيا؟

- ألّا يُربط إيمان الناس بها، بل يُوجهون إلى الكتاب والسنة، ويُربون على تعظيمها، والرؤيا لا تعدو أن تكون مبشرة أو محذرة.

- ألّا يتسرع في التوثيق في أمور لم يطلع عليها بنفسه، ولا يبالغ في حُسن الظن بمُحدثيه.

على أن يُشرح للناس الموقف الشرعي الصحيح من الرؤيا، وأنواع ما يراه الإنسان في المنام، وآداب الرؤيا...[1]

---

(١) قضايا في المنهج (ص/ ١٩ بتصرف يسير)، مستفاد من «المهدي وفقه أشراط الساعة» د. محمد إسماعيل حفظه الله (ص/ ١٩٣ بتصرف).